بحوث قسم التاريخ والحضارة

دور الأدب فى رصد الثورة الاجتماعية فى مصر القديمة
(خلال عصر الانتقال الأول)

د.إيمان احمد نور الدين أبوبكر
كلية الآداب جامعة قناة السويس

الملخص العربى :

شهدت مصر فى نهاية عصر الدولة القديمة وبداية مايطلق عليه عصر الانتقال الأول مرحلة من الفوضى أطلق عليها الثورة الاجتماعية ، والتى كان من أهم أسبابها ضعف السلطة المركزية، كما زادت سلطة حكام الأقاليم وأصبحت مناصبهم وراثية وأصبحوا يمتلكون الإقطاعيات الكبيره واخذت تتدهور سلطة الملك شيئا فشيئا وأصبح كل حاكم إقليم يتحكم فى إقليمه كمملكة صغيره. وأدى هذا الضعف فى السلطة المركزيه إلى تسلل البدو الآسيويين من الشرق وكذلك بدو الحدود الغربية، وانتهى الأمر إلى دخول البلاد فى فوضى، وأحس الناس بالظلم وقامت الثوره التى قلبت أحوال البلاد رأسا على عقب.

ولعب الادب المصرى القديم دورا مهما فى النقد السياسى لهذه المرحلة، كما أدى دوره فى وصف ماآلت إليه البلاد فى خلال الثورة الاجتماعية، وحاول إعادة الأخلاقيات إلى المجتمع المصرى والتى فقدها فى مرحلة الفوضى التى دخل فيها بعد هذه الثوره، ومن النصوص التى وصلت لنا تصور حاله البلاد فى تلك الفتره وترصد حالة الفوضى والأمل فى عوده الحق والعدل تحذيرات الحكيم إيبوور، ونبؤة نفرتى، وتعاليم الملك لابنه مرى كارع ، هذا إلى جانب بعض القصص الأدبيه التى تدعو إلى الحق بعد الشعور بالظلم ومنها قصة اليائس من الحياه، وقصة الفلاح الفصيح ، ذلك بالإضافه إلى بعض النصوص الأخرى والتى يمكن أن نستعين بها فى وصف الحاكم العادل كما يرجوه المصرى .

الملخص الانجليزى:

At the end of the Old Kingdom and the beginning of the so-called First Intermediate Period, Egypt witnessed a phase of chaos called the social revolution, one of the most important causes of which was the weakness of the central authority, As the authority of the regional rulers increased, their positions became hereditary, and they became owners of large fiefdoms,

and the authority of the king began to deteriorate little by little, and each regional ruler controlled his territory as a small kingdom. This weakness in the central authority led to the infiltration of Asian nomads from the east as well as the nomads of the western borders, and the country ended up entering chaos, and people felt injustice and the revolution that turned the country's conditions upside down.

The ancient Egyptian literature played an important role in the political criticism of this stage, It also played its role in describing what the country had achieved during the social revolution, It tried to restore morals to the Egyptian society, which it lost in the chaos stage it entered after this revolution, Among the texts that have reached us depicting the state of the country in that period and monitoring the state of chaos and hope for the return of truth and justice are the warnings of the wise Ipuwer, the prophecy of Neferti, and the Instruction of the king to his son MeriKare, in addition to some literary stories that call for truth after feeling injustice, including the story of the despair of life And the story of the Eloquent Peasant, in addition to some other texts that we can use to describe the just ruler as the Egyptian desired.

مقدمة

شهدت مصر فى نهاية عصر الدولة القديمة وبداية مايطلق عليه عصر الانتقال الأول مرحلة من الفوضى أطلق عليها الثورة الاجتماعية ، والتى كان من أهم أسبابها ضعف السلطة المركزية، فقد اصبح الملك الجالس على العرش من الناحية الشكلية يتحكم فى كافة الأمور والاختصاصات ولكن من الناحية الفعليه كانت كافة السلطات فى يد الوزير، كما زادت سلطة حكام الأقاليم وأصبحت مناصبهم وراثية وأصبحوا يمتلكون الإقطاعيات الكبيره واخذت تتدهور سلطة الملك شيئا فشيئا وأصبح كل حاكم إقليم يتحكم فى إقليمه كمملكة صغيره. وأدى هذا الضعف فى السلطة المركزيه إلى تسلل البدو الآسيويين من الشرق وكذلك بدو الحدود الغربية، وانتهى الأمر إلى دخول البلاد فى فوضى، وأحس الناس بالظلم وقامت الثوره التى قلبت أحوال البلاد رأسا على عقب (١).

ولعب الادب المصرى القديم دورا مهما فى النقد السياسى لهذه المرحلة، كما أدى دوره فى وصف ماآلت إليه البلاد فى خلال الثورة الاجتماعية، وحاول إعادة الأخلاقيات إلى المجتمع المصرى والتى فقدها فى مرحلة الفوضى التى دخل فيها بعد هذه الثوره، حيث كان المجتمع فى مصر القديمة يقوم على نظام قوى ثابت الأركان والمبادئ الأخلاقيه تدعو فى الأساس إلى الصدق الحق والعدل وهو مايطلق عليه (ماعت)، كما حاولت هذه النصوص أن تصف الملك العادل الصالح الذى ترنو إليه البلاد لإصلاح أحوالها.

ومن النصوص التى وصلت لنا تصور حاله البلاد فى تلك الفتره وترصد حالة الفوضى والأمل فى عوده الحق والعدل تحذيرات الحكيم إيبوور، ونبؤة نفرتى، وتعاليم الملك لابنه مرى كارع ، هذا إلى جانب بعض القصص الأدبيه التى تدعو إلى الحق بعد الشعور بالظلم ومنها قصة اليائس من الحياه، وقصة الفلاح الفصيح ، ذلك بالإضافه إلى بعض النصوص الأخرى والتى يمكن أن نستعين بها فى وصف الحاكم العادل كما يرجوه المصرى .

سأبدء بتعريف هذه النصوص الأدبية ، ثم رصد ماورد فى كل منها عن وصف أحوال الثوره وما سبقها أو ماتبعها من فوضى ، ثم بعد ذلك إظهار ماورد فى هذه النصوص من عبارات تدعو إلى محاولة إعاده الأخلاق والحق إلى المجتمع، ثم انتهى إلى بعض النتائج.

بردية الحكيم ايبوور:-

عثر على هذه الوثيقه الأدبية فى منف ونقلت إلى متحف ليدن عام ١٨٢٨م. ، وتعرف باسم "بردية ليدن رقم٣٤٤"، كما تعرف فى الكتب باسم تحذيرات ايبوور، وكتبت هذه البردية بالخط الهيراطيقى، وهى عباره عن خطبة طويلة يلقيها الحكيم أمام الملك الذى لم يذكر إسمه فى البردية،

ويكاد عدد كبير من المؤرخين يجمع على أنه "بى الثانى"، وإن كان جاردنر يميل إلى أن هذا الملك هو آخر الملوك الذين حكموا فى منف وذلك بعد فترة الأسرة السادسة(٢) ويتفق معه فى هذا الرأى محمد بيومى مهران(٣)، وهو الرأى الذى اتفق معه.

ومع الأسف فان هذه البردية فقد الجزء الأول منها وكذلك نهايتها، هذا إلى جانب وجود بعض الفجوات فى وسطها(٤)، وقد قام جاردنر بنشر هذه الوثيقه وترجمتها ترجمه كاملة دقيقه فى كتاب :-

A.H.Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Liepizig,١٩٠٩

وكتب هذا النص فى أثناء فترة الإضطرابات نفسها وذلك اعتمادا على اجروميتها، فضلا عن بعض المميزات الأدبيه التى تتفق مع مميزات الادب فى ذلك العصر(٥).

وتحوي تلك البردية أربعة عشر صفحة، صور فيها الحكيم ايبوور إنهيار السلطة المركزية فى البلاد، ويذكر أن حدود البلاد أصبحت مفتوحه حيث أغار البدو الآسيويين من الشرق والليبين من الغرب، واخذوا ينهبون ويثيرون الفزع بين الناس، وبدلا من ان يقف رجال الأمن فى وجه العابثين أصبحوا هم الأخرون ينهبون ويقتلون، وقامت ثوره حطمت كل شئ وامتد غضب الشعب إلى الأثرياء فى بيوتهم، وثار الفلاح الصابر المطيع عندما وجد الظلم قد ازداد وأن الأغنياء قد سلبوه كل شئ، ثار الشعب ثورة عارمه ولم يفرق فى ثورته بين معبد إله وقصر الملك أو بين ديوان الحكومه وقصر الغنى ، وانتهك حرمات المقابر، وألقى ايبورر مسئولة ماحدث على عاتق الملك ، والذى كان يتحدث فى حضرته، وأرجع ماحدث إلى ضعف الملك ، وينهى ايبور كلامه بالنصح والتحذير من الاهمال، والبدئ بالإصلاح ، ثم يسرد صفات الحاكم العادل الذى يرنو إليه الشعب (٦).

ويرى البعض أن ايبوور كان على صلة بالدلتا وأنه كان مصلحا ويدرك مفاسد الحكم فى عصره، وكان من الطبقة الارستقراطية ويتمنى إصلاحها، ولم يكن مقتنعا بان يفرض عليها التغيير عن طريق طبقة أقل منها منزلة، ولهذا اختلط الإخلاص فى روايته بالمبالغة واختلط الخيال بالواقع(٧).

نبؤة نفرتى:-

ترجع هذه النبؤه إلى أوائل عصر الأسرة الثانية عشرة، ومن المرجح عهد الملك أمنمحات الأول مؤسس هذه الاسرة، كتب هذه النبؤه كاهن يدعى نفرتى وهو كاهن مرتل فى مدينة برباستت

(تل بسطة الحالية تتبع مدينة الزقازيق)، وهذه البردية محفوظه الآن فى متحف لننجراد بروسيا تحت رقم ١١١٦ب. وقد نقل تلك النبؤه كاتبا من عهد الدولة الحديثة (٨).

وتحكى النبؤة عن قصة ألقيت فى حضرة الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة(حوإلى عام ٢٥٢٠-٢٤٧٠ق.م.)، أى قبل عصر الانتقال الأول بفترة طويلة، حيث يجلس الملك مع افراد حاشيته يتشاور فى بعض الأمور، ويذكر أفراد الحاشية للملك وجود مرتل عظيم للإلهه باستت ويدعى " نفروهو" (نفرتى) ،فقال الملك "إذهبوا وأتونى به"، ويحضر الكاهن ويسأل الملك عما يود أن يسمعه، هل هو مما حدث بالفعل أم الذى سيحدث مستقبلا، فيطلب منه الملك أن يحكى أشياءاً مستقبليه، وتذكر مقدمة النبؤه :"كتابة ماتحدث به الكاهن المرتل نفروهو (نفرتى) حكيم الشرق التابع للإلهه باستت.... ابن مقاطعة "عين شمس" حينما يفكر فيما سيحدث فى الارض، ويفكر فى حالة الشرق حينما ياتى الاسيويون بقوتهم، وحينما يعذبون قلوب الحاصدين ويغتصبون ماشيتهم وقت الحرث"(٩).

وأغلب الظن ان هذه النبؤه كتبت كدعاية سياسيه للملك أمنمحات الأول، ووصفته بصفات يتمناها الناس فى ملكهم الجديد، وأن هذا الملك هو الملك العادل الذى كان ايبوور ينتظر قدومه، وتتضمن البردية موضوعين اساسيين، الأول يصف الحالة السيئة التى آلت إليها البلاد قبل وبعد الثوره الاجتماعية، وهى تتشابه فى ذلك مع تحذيرات ايبوور، والثانى:- هو الإعلان عن الملك الجديد الذى سيخلص البلاد مما نزل بها من شر وسيسعد من يعيشون فى عصره.

حيث تذكر البردية:- " سياتى ملك من الجنوب اسمه (إمينى) صادق الصوت، وهو ابن امرأة من النوبة، وهو مولود منسوب لمقر الملك فى نخن (هيراكونبوليس- الكوم الاحمر بادفو)" وتستكمل البرديه بعد ذلك :-" وسيبتهج الناس فى عصره والسائرون إلى الشرور والمخططون للعصيان قد أوقفوا كلامهم للخوف منه، والآسيويون سيسقطون بذبحه لهم، والليبيون سيسقطون بلهيبه، والمتمردون على كلامه، وفاسدو القلب فى مهابته" (١٠).

تعاليم خيتى لابنه مرى كارع:-

لم تصل إلينا هذه الوثيقه إلا من خلال نسخة كتبت فى عصر الأسره الثامنة عشرة، وقد كتب هذا النص على أكثر من بردية، إحداها محفوظ فى متحف الأرميتاج بمدينة لننجراد، وأخرى معروضة بموسكو، والثالثة فى كوبنهاجن، وهى تعرف باسم بردية بترسبرج تحت رقم A١١١٦، ولسوء الحظ فان اسم الملك الأب غير موجود فى البرديه، وبقراءه البردية وتحليل مابها رجح غالبية الأثريين الذين قاموا بدراستها أنه من بيت هيراكونبوليس المقابل لعصر الأسرتين التاسعه والعاشره

حيث تحمل البردية بين سطورها أدلة قاطعه تثبت أنها كتبت فى ذلك العصر، وأنه – اغلب الظن- الملك خيتى الثالث(١١).

وتتضمن البرديه مجموعه من النصائح الأدبية والإجتماعية والسياسية التى ووجهها الملك خيتى (أختوى) لابنه الملك مرى كارع ، وتظهر الملك بصورة متواضعه وليس بصورة الحاكم المستبد، وهو يحاول إعطاء نصائحه وخلاصة تجاربه لابنه موضحا له الأخطاء التى ارتكبها الأب لكى يبتعد عنها الإبن فى المستقبل، وهى توضح لنا أحوال البلاد فى ذلك الوقت فى منطقة الدلتا، كما تصف الأقوام الذين كانوا يهددون حدود مصر، والعلاج الناجح لكبح جماحهم.

ويوصى الملك ابنه فى هذه الوثيقه بأن يستوصى بالناس خيرا لأن حبهم يكسب الإنسان الثقة بالنفس، كما يوصيه بالعدل، وإنصاف المظلوم، وردع الظالم، ويحذره من الحساب بعد الموت، ويبدى خيتى اهتماما خاصا بالشباب، فينصح إبنه بالعناية بهم وتقريبهم إليه، وإغداق الهبات عليهم، ويحذره من التميز بين الثرى والفقر منهم.

قصة القروى الفصيح:-

تعتبر هذه القصة من أشهر النماذج الأدبية التى تركها لنا المصريون القدماء، وقد تم العثور على أربع نسخ من هذه القصة يرجع تاريخ كتابتهم إلى عصر الدولة الوسطى، ومن بين هذه النسخ "بردية بتلر ٥٢٧ pap. Butler" المحفوظه بالمتحف البريطانى.(١٢)

والقصة بسيطة فى وقائعها لكنها تمتاز بالبلاغه، وترجع أحداثها إلى عصر الملك خيتى أحد ملوك اهناسيا، وهى قصة خياليه تحكى عن عهد سادت فيه الفوضى وعم الاضطهاد، وتظهر ما كان يشكوا منه الناس من شعور بالظلم والسعى إلى طلب العدل وإرجاع الحق.

وتتكون القصة من مرحلتين أساسيتين ، الأولى مقدمة قصصيه، والثانية تسع خطب، وتتلخص فى أن أحد القرويين خرج من قريته بالقرب من وادى النطرون يحمل على حميره بعض السلع والغلال، وكان متوجها إلى مدينة اهناسيا، وفى الطريق اعترضه شخص يدعى "جحوتى نخت" يعمل فى ضيعة أحد كبار الموظفين بقصد سلب مامع القروى من بضائع ، وقام بسد الطريق عليه مما اضطر القروى إلى الانحراف بحميره إلى حقل جحوتى حتب، فقام أحد الحمير بالأكل من الحقل، فاستولى جحوتى حتب على الحمير والبضائع مقابل ما أكله الحمار.

ولما يئس القروى من استرداد حقه توجه إلى صاحب الضيعة التى يعمل بها جحوتى حتب ليشكو اليه مما حدث ، فاعجب صاحب الضيعه ببلاغته وأبلغ الملك بذلك ، وظل الفلاح يشكو

إلى ان وصلت عدد الشكأوى إلى تسعة، وانتهت القصة بان انصف الملك القروى ورد له حقه (١٣).

قصة اليائس من الحياة:-

وهذه البرديه موجوده فى متحف برلين برقم ٣٠٢٤، وترجع إلى عصر الأسرة الثانية عشر، ومن المرجح أنها منقولة عن نص يرجع إلى ماقبل الدولة الوسطى وربما فى عصر الثوره الإجتماعية نفسها وهو العصر الذى عمت فيه الفوضى وساءت الاخلاق، وفسدت العقائد الدينية، واعتنق معظم المثقفين فى تلك الفتره مذهب التشكك، وتبع ذلك عند الناس حالة من سوء الظن، وهى تمثل نوع من أنواع ادب الحوار، وتتكون من مقدمة طويلة بليغة يليها أربع قصائد شعريه.

وترجع أهمية هذه البردية إلى أنها تقدم صورة لعصر الثورة الاجتماعية الذى ساد فيها الشك واليأس، ونجد كاتب البردية يدعو إلى ترك الحياة والاتجاه إلى الموت ، وذلك نتيجه لما لقيه فى حياته من ظلم وقسوة، حيث تنكر له أقرب الناس ، وخربت الذمم وفسدت الضمائر وقست القلوب وأنكر الناس ماقدم لهم ربهم من خير (١٤).

شكوى خع خبر رع سنب:-

هى وثيقه أدبية تصف حالة الفوضى والتدهور الأخلاقى فى عصر الثوره الاجتماعيه، والنص يرجع لعصر الدولة الوسطى، أما البردية فترجع للأسره الثامنة عشر، وهى محفوظه بالمتحف البريطانى، ومنقولة عن نص لكاهن من عين شمس يدعى خع خبر رع سنب ويطلق عليه ايضا عنخو (١٥).

وكما ذكرنا فان هذه النصوص الأدبية تبدا برصد حالات الفوضى التى سادت البلاد التى أدت إلى قيام الثوره كما رصدت ماتبعها من فوضى وضياع للقيم والأخلاقيات التى كانت أساس المجتمع فى مصر ، وسوف نقوم برصد ماجاء فى هذه النصوص من رصد لحالات الفوضى.

فنجده فى"***تحذيرات ايبور***" يصف حاله الفوضى ، وترى الباحثة أنه فى الفقرات التاليه يصف حالة البلاد قبل الثوره وربما يكون هذا الوصف من الأسباب التى أدت إلى قيام الثوره ، فنجده يقول:

- يقول حراس الأبواب فلننطلق ولننهب، وتخلى الغسال عن حمل حمله، وصائدو الطيور قد جهزوا أنفسهم للواقعه، وآخرون من الدلتا يحملون الدروع، وقد ثار الناس حتى أصحاب أهدأ الحرف كبائعى الحلوى وصانعى الجعة، وأصبح الرجل ينظر لابنه نظرته إلى العدو، والرجل الفاضل يذهب بملابس الحزن بسبب ماحاق بالأرض ، واصبح الأجانب مصريين فى كل مكان"(١٦).

– " حقا فان الأموات أصبحوا مثل الأحياء، ومن كانوا مصريين أصبحوا أجانب (وهذا دليل على كثره الأجانب الذين وجدوا فى مصر فى هذه الفتره، وهنا تظهر مبالغه الكاتب فى تصوير الحدث حتى يظهر قدر الكارثة)، حقا لقد سقط شعر كل انسان، واصبح لايميز بين ابن الوضيع وابن من لا والد له... "

ويذكر ايضا:" المتحلى بالفضائل يسير وهو محزون، ويقول الرجل الاحمق اذا عرفت اين يوجد الاله فانى اقدم له قربانا، وفى الحق كانت العدالة موجوده فى الارض باسمها فقط ومايعمله الناس حينما يلجئون اليها هو الظلم"(١٧).

ويصف حالة البؤس التى أصابت الناس فيقول:

- " وفى الحق لقد مات السرور ولم يعد يحتفل به بعد ولا يوجد فى الأرض إلا الأنين الممزوج بالعويل". ويقول": حقا لقد اصبح كل من العظيم والحقير يقول ليتنى كنت ميتا، والأطفال الصغار يقولون ما كان عليهم أن يهبونا الحياة" ...." حقا فإن قلوب كل الماشية صارت تبكى والقطعان تندب حالة البلاد" (١٨).

وفى وصفه لتغير الأحوال بالنسبه لطبقات الشعب فيقول:" انظر! إن الذى لم يكن يملك زوجا من الثيران أصبح يملك أزواجا. ومن لم يكن فى مقدوره أن يحصل على ثيران للحرث اصبح يملك قطعانا"" انظر! ان الذى لم يكن يملك حبة اصبح الان يملك اجرانا. ومن كان يبحث لنفسه عن صدقات من القمح اصبح الان يخرج من مخازنه ويجعلها توزع"(١٩).

كما نجده يصف سوء الاحوال الداخلية للبلاد فيقول:-

- " حقا لقد اصبحت الارض تدور كعجلة صانع الفخار، وصار اللص صاحب ثروه، ومن هو غنى وموسر فهو سارق افاق" (٢٠).
- " حقا لقد اصبحت سفينة الجنوب شارده(؟)، ودمرت البلاد، وصار الوجه القبلى صحراء خأوية".
- " حقا لقد أصبحت التماسيح فى تخمة بما قد سلبت، إذ يذهب الناس إليها عن طيب خاطر وحالة البلاد أصبحت سيئة" (٢١)، وترى الباحثة ان ايبوور هنا يستخدم الرمز فى تصوير من كانوا ينهبون الناس بانهم تماسيح اصيبت بالتخمه من كثرة استلائهم على اموال الناس.

- " حقا لقد أصبح ابن سلالة المجد لا يعرف(؟)، وأصبح ابن زوجته ابن خادمته (يرى سليم حسن ان ذلك دليل على انه لم يكن هناك تميز بين ابن الخادمه وابن السيده)، حقا لقد أصبحت الأرض الحمراء منتشره فى كل البلاد ، وخربت المنازل، ونزل قوم من الأغراب من الخارج إلى مصر"(٢٢)، يرى سليم حسن أن الأرض الحمراء هنا يقصد بها أن الإنسان أصبح يلقى الأجانب فى كل مكان، بينما ترى الباحثه أن المقصود هنا أن الناس هجرت زراعه الأرض مما جعلها تشبه الصحارى أو أن القتلى زادت اعدادهم ودمائهم جعلت الأرض حمراء أى كناية عن كثرة الدماء.

وفى فقرات اخرى نجده يصف الثوره من وجهة نظره وماحدث فيها وبعدها من فوضى، فنجده ينذر الملك ويحدثه عما يدور فى البلاد قائلا:- " لديك الحكمه والبصيره والعدل، ومع ذلك تترك الاضطرابات وضوضاء المتعاركين تنتشر فى البلاد، انظر إليهم إن كل واحد منهم يضرب الآخر، ولا يعبا بالأوامر، فهل تلقى راعيا يحب الفناء".

" لقد كذبوا عليك، فالبلاد تشتعل كالقش، والناس على شفا الهلاك... وهذه كلها سنوات حرب أهلية، فالرجل يقتل على سطح منزله، حينما يكون مراقبا فى حدود بيته، ولكنه إن كان قويا، فإنه ينجى نفسه بنفسه، ويبقى حيا" (٢٣).

ونجد فى فقرات أخرى إيبوور وهو يوجه اتهام للملك بأنه يجهل أحوال الناس وأنه حتى إن كان قد فعل أشياءاً طيبه وأحب الناس إلا أنه لم يوفر لهم الأمان الذى ينشده المصرى دائما فنجده يقول له:- " إذا كنت تجهل ذلك، فقد يكون الجهل شيئا مريحا للنفس، وربما فعلت شيئا طيبا لقلوب الناس وأحبتهم، ولكنك تغطى وجوههم فزعا من الغد".

وفى فقرات أخرى نراه يصف ما حاق بالبلاد من خراب ودمار فيقول:-

- "انظر! إن النار قد اشتعل لهيبها عاليا".
- "انظر! لقد حدثت أمور لم تحدث منذ زمن بعيد مضى، إذ اختطف الفقراء الملك".
- انظر! إن الذى دفن كصقر أصبح يرقد على نعش، وماخبأه الأهرام (يقصد التابوت) قد أصبح خاوياً.
- " انظر! لقد تجاسر بعض الخوارج فحرموا البلاد الملكية.
- انظر! ان سر الأرض الذى لا يعرف أحد حدوده قد أفشى، وأصبح مقر الملك رأسا على عقب فى لحظة (٢٤).

وإذا ما انتقلنا إلى ماورد فى "***بردية نفرتى***" للتدليل على الفوضى التى لحقت بالبلاد، فإننا نجد أنها لم تصف الفوضى بالتفاصيل التى وصفها ايبوور ولا بالتحليل والتدقيق الذى ذكره، ولكن كما ذكرنا سابقا فان ذكر البرديه للفوضى هنا كان الغرض منه الإعلان عن الملك القادم الذى سينقذ البلاد والدعاية له.

فمن الفقرات التى تصف هذه الحاله نجده يذكر:-

- "لقد أصبحت البلاد خرابا، فلا من يهتم بها، ولا من يتكلم عنها، ولا من يذرف الدمع عليها، لقد حجبت الشمس فلا تضئ حتى يبصر الناس" (٢٥) ، ربما يقصد بالشمس هنا الحق والعدل اللذين حجبتهما الفوضى، ولن يظهر الحق والعدل إلا بظهور ملك عادل يسبب إبصار الناس.
- "لقد جف نيل مصر حتى ليخوضه الناس بالقدم، وسوف يبحث الناس عن الماء لتجرى عليها السفن، فيجدون أن الطريق قد صار شاطئا، كما صار الشاطئ ماء" (٢٦) ، وهنا نجد الكاهن يتكلم بالرمز فربما يريد ان يصف كيف انقلبت أحوال البلاد وأصبح الوضع الصحيح غير معلوم فيها.
- " إن البلاد فى كرب وعويل ، لقد حدث مالم يحدث من قبل – وهنا تشابه مع ماقاله ايبوور "لقد حدثت امور لم تحدث منذ زمن بعيد مضى" ولكن ايبور كما قلنا كان يكتب الحدث بتفاصيل أدق وليس أجملا كما يحدث هنا- سيحمل الناس أسلحة الحرب، حتى تعيش الأرض فى قلق واضطراب، وسيصنع الناس أسلحة من النحاس حتى يلتمسوا الخبز بالدم، ويضحكوا ضحكة الموت، لن يبكى الناس من الموت، ولن يهتم أحد إلا بنفسه" (٢٧).
- " لن يعنى احد بترجيل شعره – دليل على ان الناس اصبحت مشغوله بما يحدث من خراب ودمار- ويجلس المرء فى مكانه لا يحرك ساكنا، بينما يرى الناس يقتل بعضهم بعضا، سأريك حالة البلاد، وقد أصبح الأب خصما، والأخ عدوا، والرجل يقتل أباه (يتشابه هنا مع ماذكره ايبوور "واصبح الرجل ينظر لابنه نظرته إلى العدو")، واختفى كل شئ طيب، وخربت البلاد، واصبحت أملاك الرجل تغتصب للغريب، وغدا المالك فى حرمان، والأجنبى فى شبع ورفاهية" (٢٨).

- "لقد تباعد الإله رع عن الناس، وإذا ظهر أشرق ساعه، ولا يكاد أحد يعرف أوان الظهر لأنه ما من ظل يدل عليه".
- ساريك الأرض فى اضطراب واهتياج عظيم، فمن كان ضعيق الذراع هو الآن صاحب قوة، ويبجل الرجال أولئك الذين كانوا قبلا مجبرين أن يظهروا الاحترام، سأريك الرجال البسطاء فى أماكن رفيعة، ومن كان قبلا متبعا للطاعة يسلك طريقه الشخصى، وسيعيش الناس فى الجبانة، وسيتمكن المعدم من الثراء، وسيأكل المتسولون خبز القرابين، وسوف يكون العبيد مبجلين" (٢٩).

وفى بردية "***اليائس من الحياة***" نجده يصف حالة الفوضى فى البلاد قائلا:-

- لمن أتكلم اليوم؟ الأخوه شر وأصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب.
- لمن أتكلم اليوم؟ الناس شرهون وكل إنسان يغتال متاع جاره.
- لمن أتكلم اليوم؟ الناس يسرقون وكل إنسان يغتصب متاع جاره.
- لمن أتكلم اليوم؟ فقد أصبح الرجل المريض هو الصاحب الذى يوثق به، أما الأخ الذى يعيش معه فقد صار عدو.(ربما يقصد بالرجل المريض هنا الشخص الذى لم يكن اهل للثقة فيما قبل وربما الرجل الغير سوى أو اللص أو ماشابه ذلك ، وهذا دليل على الفوضى وعدم الاستقؤاؤ الذى حل بالبلاد).
- لمن أتكلم اليوم؟ الأخوة شر، والإنسان صار يعامل كالعدو رغم صدق ميوله.
- لمن أتكلم اليوم؟ لمن أتكلم اليوم والقلوب شرهه والرجل الذى يعتمد عليه القوم لا قلب له.
- لمن أتكلم اليوم؟ فالخطيئة التى تصيب الأرض لاحد لها.
- لمن أتكلم اليوم؟ فالرجل المهذب مات والصفيق الوجه يذهب فى كل مكان.
- لمن أتكلم اليوم؟ أيذكر أحد الماضى ولن يفعل أحد الخير لمن يسديه اليه (٣٠).

أما "***شكوى خع خبر رع سنب***" فتصف الفوضى بقولها:-

- " إن العدالة قد نبذت فى حين أن الظلم قد أخذ مكانه فى وسط قاعة المجلس، وخطط الآلهه قد أنتهكت حرمتها، وأهملت نظمها، والبلاد صارت فى هم، والحزن عم كل مكان، وصارت المدن والأقاليم فى عويل، وكل الناس صاروا على السواء يزرحون تحت عبء الظلم".
- " أما الاحترام فإن اجله قد انتهى".

– إن المصائب تقع اليوم، ومصائب الغد لم تاتى بعد، وكل الناس لاهون عن الغد مع أن كل البلاد فى اضطراب عظيم، وليس إنسان خاليا من الضر فإنه يصيب جميع الناس على السواء، والقلوب بالحزن مفعمه. فالآمر والمأمور صاروا سواسية." (٣١)

واذا مانظرنا عن ماكتب فى تلك النصوص وعن الملك الصالح الذى سوف يعيد العدل إلى البلاد وسينشر العداله ليعيد المجتمع إلى حالته السابقه المستقره، مع الأخذ فى الاعتبار أنه فى تحذيرات ايبوور يتمنى وجود هذا الملك أما نفرتى فانه يمجد ملك موجود فعلا ويقوم بعمل دعاية سياسيه له .

فنجد ايبوور فى وصف مايتمناه فى الملك قائلا: "إنه يطفئ لهيب (الحريق الاجتماعى)، ويقال عنه أنه راعى الإنسانية، ولا يحمل فى قلبه شرا، وحينما تكون قطعانه متفرقة فإنه يصرف يومه فى جمعها، وقلوبها محمومة ليته عرف أخلاقها فى الجيل الأول، فحينئذ كان فى مقدوره أن يضرب الشر، وكان فى مقدوره أن يمد ذراعه ضده(أى الشر)، وكان فى مقدوره ان يقضى على بذرتهم هناك، وعلى ورثتهم، فأين هو الآن، هل هو بطريق الصدفة نائم" (٣٢).

وبعد أن يتمنى هذه الأشياء فى ملك المستقبل يمضى فى وصف مايتمنى أن يكون عليه المستقبل من شعور الناس بالأمان وعوده الحياة إلى ماكانت عليه فى السابق فيقول:–

"على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة نحو الجنوب.

على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور.

على أنه من الخير أن تنبى أيدى الرجال الأهرام، وتحفر البرك، وتقام للآلهة مزارع فيها الأشجار.

على أنه من الخير أن يكون الناس سكارى، وأن يشربوا...فرحى القلب.

على أنه من الخير أن يبدو الفرح فى أفواه الناس.

على أنه من الخير أن تكون الأسرة وثيره، ومساند رؤوس العظماء تحميها التمائم، ويهيأ لكل انسان سرير خلف باب مغلق فلا يحتاج للنوم فى الأعشاب" (٣٣).

أما الملك العادل الصالح الذى سينقذ البلاد فى نبؤه نفرتى فإنه معروف ويذكره الكاهن قائلا:– " سياتى ملك من الجنوب اسمه إمينى وهو ابن إمراة من تاستى من سلالة بيت نخن الملكى، وقد ولد فى الوجه القبلى وسيتسلم التاج الأبيض، وسيلبس التاج الأحمر فيوحد البلاد بذلك التاج المزدوج، وسينشر السلام فى الأرضين(اى فى مصر كلها) فيحبه أهلها...وسيفرح أهل زمانه. وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبد الآبدين، أما الذين كانوا قد تآمروا على الشر

ودبروا الفتنة. فقد أخرسوا أفواههم خوفا منه والآسيويون سيقتلون بسيفه، والليبيين سيحرقون بلهيبه، والثوار سيستسلمون لنصائحه، والعصاة إلى بطشه، وسيخضع المتمردون للصل الذى على جبينه" (٣٤).

ثم يذكر عن الملك كذلك: "العدالة ستعود إلى مكانها، والظلم ينفى من الأرض، فليبتهج من سيراها ومن سيكون من نصيبه خدمة هذا الملك".

وهنا نراه يرى ان الملك الذى ينتظره الناس ليخلصهم من الفوضى التى انتشرت فى البلاد لابد أن يكون قوى وصارم حتى يهابه المتمردون والذين يثيرون الفوضى فى البلاد، وذلك إلى جانب أنه لابد أن يكون عادلا حتى يستطيع أن ينشر العدل والأمان فى البلاد.

أما فى بردية اليائس من الحياة فنجده بعد أن قام بالجدال مع روحه التى كانت ترفض انتحاره وهو يصف لها متعة الموت بالنسبة له لأنه يجد فيه ما افتقده فى الدنيا فيقول:-

-" إن الموت أمامى الآن كالمريض الذى يقدم على الشفاء، وكالذهاب إلى حديقة بعد المرض."

- إن الموت أمامى الآن مثل مجرى النهر الصغير، ومثل عوده الرجل من سفينة حربية إلى داره. (٣٥)

وتظهر أمانيه بالنسبة للمستقبل الذى يتمناه ، وهو مانجد فيه وصف للملك الصالح ، فيقول:-

" إن الذى هنالك سيكون نفسه إلها ويوقع عقاب الشر على مرتكبه"

" إن الذى هنالك، هو حكيم محترم لايطرد عندما يشكو إلي الموظفين الفاسدين، بل يوجه شكايته إلى إله الشمس (رع).

" إن الذى هنالك سيقبض على كل مجرم كأنه إله ويوقع عقاب الإجرام على من اقترفه".

" إن الذى هنالك سيكون رجلا عاقلا غير منبوذ مصليا لرع حينما يتكلم" (٣٦).

أما إذا نظرا لتعاليم خيتى لابنه مرى كارع فإننا نجده يصف له مايجب أن يكون عليه الحاكم الصالح العادل حتى يصلح حال البلاد فيقول-

"لا تكن شريرا، فالصبر خير، من الخير ان تكون رحيما عطوفا، اجعل بيت ذكراك خالدا بحب الناس لك، وعندئذ يحمد الإنس الله من أجلك، ويمتدح الناس طيبة قلبك، ويتمنون لك الصحة والعافية، مجد العظماء واعمل على سعادة شعبك، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل أن يتكشف الأمر عن حسرة لثقة جاءت فى غير موضعها."

" ارفع من شان مستشاريك، واغدق عليهم من الثورة مايكفيهم، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل، لأن الرجل الغنى فى بيته لا يميل مع الهوى ولا يتحيز، اذا يكون عنده من المال مايغنيه، إن الرجل الفقير فى وظيفته لا يتكلم طبقا للحقيقة، إن الذى يقول إنى أريد، ليس عادلا، إنه متحيز للذى يحبه، إنه يميل للذى يملك الهدية".

" العظيم من كان مستشاروه عظماء، والحاكم القوى من كانت حاشيته قوية، قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها فى الأقاليم، وإن من صلحت نيته صلحت أحواله، والبيت مرهوب بمن فيه".

" أقم العدل تخلد على الأرض، وهدء روع الباكى، ولا تظلم الأرملة، ولا تحرم رجلا من ثروة أبيه، ولا تطرد موظفا من عمله ، وكن على حظر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم، لا تقتل، فإن ذلك لا يكون ذا فائدة، بل عاقب بالضرب والحبس، فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد، اللهم إلا من يثور عليك، وتتضح لك مقاصده، والله هو الذى يعاقب اخطاؤه بدمه، لا تقتل رجلا تعرف جميع مزاياه، رجلا كنت تتلو معه الكتابات".

" اعل من شان الجيل الجديد تحبك العاصمة، وزد اتباعك من الرعية، إن مصر بلد عامر بنشا غض فى سن العشرين، وإن الجيل الناشئ إنما يسعد بمن يستوحى ضميره، فان فعلت ذلك قلدك العامة ، واتاك رب كل اسرة بأبنائه راضيا، فبهذه السياسة حارب القدماء من أجلنا، منذ رفعت أنا شأنهم، فارفع أنت شأن بنبلائك، وعظم محاربك، واصبغ الخير على جيل الشباب من أتباعك واحرص على ان يتزودوا بالعطايا، ويطمانوا بامتلاكم الأرض ويكافئوا بالأنعام".

" لا تفرق بين ابن النبيل وابن فقير الاصل، وتخير الفرد بكفائته الشخصيه".(٣٧)

وعن صفات الحاكم الصالح العادل تذكر قصة القروى الفصيح:-

" دعنى أجعل اسمك فى هذه الأرض يتفق مع كل قانون عادل، فتكون حاكما خلو من الشره، وشريفا بعيدا عن الدنايا، ومهلكا للكذب ومشجعا للعدل".

" إنك معادل لتحوت، تقضى دون أن تنحاز إلى جانب، ياسيدى كن صبورا حتى يمكن الإنسان أن يستغيث بك لقضيته العادلة".

" أقم العدل لرب العدل، والذى عدل عدالته موجوده."

" إن العدل سيكون إلى الأبد ويذهب مع من يعمله إلى الجبانه، وسيدفن وتطويه الارض، أما اسمه فلن يمحى من الأرض، بل سيذكر بالخير، وهكذا القانون فى كلمة الله. فهل هو ميزان؟ اذن لايميل، هل هو لسان الميزان؟ اذن لايحيد إلى جانب".(٣٨)

مما سبق يتضح لنا أن الأدب قد لعب دورا كبيرا فى رصد أحوال البلاد السياسية ومايمر بها من أحداث إجتماعية ويقوم بعرضها وتحليلها فى محاوله للوصول إلى حلول مستقبلية لمايمر بالبلاد من أحداث، وأن الأدب لم يتخلف عن أداء دوره فى نقد اومعايشة حاجات الشعب ويضع خطوط عامة لملامح المستقبل .

نرى ذلك بوضوح فيما تم عرضه من برديات ترجع لفترة عصر الثورة الإجتماعية ، حيث نجد تشابه كبير فيما تم سرده من أحداث الثورة فى كل النصوص التى تم استعراضها وإن اختلف أسلوب العرض من نص الى آخر، ونجد كذلك كل النصوص تتفق فى تصوير الاتجاه الجديد نحو المساواة الإجتماعية، وان تتم مراعاة العدالة الإجتماعية، وكذلك فى تصوير مايمنانونه فى الحاكم القادم واتفقوا جميعا فى أن يكون الحاكم القادم بعد الثورة حاكم يتصف بالعدل والقوة والمساواة بين الناس على أساس العمل وليس الحسب والنسب.

المراجع:

١- نيقولا جريمال- تاريخ مصر القديمة- مترجم – ص١١١؛ عبد الحليم نور الدين-تاريخ وحضارة مصر القديمة- ; ;ج١- القاهرة ٢٠٠٩- ص ٢٣٧-٢٣٨. Barbara,B. " The Dark Ages in Ancient History, The First Dark in Egypt", American Journal of Archaeology ٧٥,١٩٧٥, pp.١-٢٦.

٢- Gardiner,A.H., Egypt of the Pharaoh,p.١٠٩

٣- محمد بيومى مهران- الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفرعونية-ص٥-٨.

٤- Redford,D.B., The Oxford encyclopedia of Ancient Egypt, Vol.٢, p. ١٨٢.

٥- أحمد فخرى- مصر الفرعونية-ص١٥٩.

٦- للرجوع الى بردية ايبور: Faulkner,R.O."The Admonitions of an Egypt Sage", The Journal of Egyptian Archaeology, Vol.٥١, ١٩٦٥, p. ٥٣-٦٢; Lichtheim,M. Ancient Egyptian Literature,vol.١, pp.١٤٩-١٦٣; . Erman, A, The Literature of the Ancient Egyptians, pp.٩٢-١٠٨.

٧- أحمد فخرى- المرجع السابق- ص ١٦٢.

٨- للرجوع للبردية انظر ;Breasted,J.H., The Dawn of Gnscrene, p.٢٠١ Lichtheim,M. Ancient Egyptian Literature,vol.١, pp.١٣٩-١٤٤; Erman, A, The Literature of the Ancient Egyptians, pp١١٠-١١٥; Gardiner,A.H, The Journal of Egyptian Archaeology,I, ١٩١٤,pp.١٠٠-١٠٦;

وليام كيلى سيمبسون- روائع الادب المصرى القديم- مترجم- مج١- ص ٢٨٢-٢٩٠.

٩- وليام كيلى سيمبسون- المرجع السابق- ص ٢٨٣.

١٠- عبد الجليم نور الدين- المرجع السابق- ص ٢٨٣.

١١- للرجوع للبردية انظر Helek, W., Die Lehre fur Konig Merikare, Weisbaden, ١٩٨٨,; Lichtheim,M. Ancient Egyptian

Literature,vol.١, pp.٩٧-١٠٩; Parkenson,R.B., The Tale of Senuhe and other Ancient Egyptian Poems ١٩٤٠-١٦٤٠bc, Oxford ١٩٩٧, pp.٢١٢-٢٣٤;

,وليام كيلى سيمبسون- المرجع السابق- ص٢٠٦-٢٢٤.

١٢- سيد توفيق- معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربى- ص ١٢٢-١٢٤؛ عبد الحليم نور الدين- المرجع السابق- ص٢٦٠.

١٣- للرجوع للبردية انظر Parkenson,R.B; The Tale of the Eloquent Peasant,Oxford ١٩٩١;

Parkenson,R.B., The Tale of Senuhe and other Ancient Egyptian Poems ١٩٤٠-١٦٤٠bc, Oxford ١٩٩٧, pp.٥٤-٨٨; Erman, A, The Literature of the Ancient Egyptians,pp.١١٦-١٣١; Gardiner,A.H, The Journal of Egyptian Archaeology,٩,١٩٢٣,pp.٥-٢٥,

١٤- للرجوع للنص انظر ;Allan,J., Middle Egyptian Literature, , p.٣٢٧ Cambridge,٢٠١٥

Erman,op.cit,p. ٢٣٧; أحمد عبد الحميد يوسف: في الأدب المصري القديم, دار الكرنك, ص٧٦-٦٩ .

١٥- للرجوع للنص انظر: كيلى سيمبسون- المرجع السابق- ص٢٧٨-٢٨١، Gardiner,Admonitions, pp.٩٥-١١٠; Erman, Op-cit, pp.١٠٨-١١٠

١٦- محمد بيومى مهران- الحضارة المصرية القديمة-ج١- الاسكندرية ١٩٨٩- ص٢٩٢.

١٧- سليم حسن- مصر القديمة- ج١٧- مكتبة الاسرة- ص٢٩٩.

١٨- مريام ليشتهايم- الأدب المصرى القديم- مترجم ج١- القاهرة ٢٠١٥- ص ٢٧٠.

١٩- سليم حسن- المرجع السابق ص٣١٢..

٢٠- وليام كيلى سمبسون- المرجع السابق- ص٢٥٤.

٢١- وليام كيلى سمبسون-المرجع السابق- ص٢٥٥.

٢٢- سليم حسن- المرجع السابق- ص ٣٠٤.

٢٣- محمد بيومى مهران- المرجع السابق- ص٢٩٧).

٢٤- وليام كيلى سمبسون- المرجع السابق – ص٢٦١.

٢٥- سليم حسن- المرجع السابق- ص٣٢١.

٢٦- مريام ليشتهايم- المرجع السابق- ص٢٥٠.

٢٧- المرجع السابق ص ٢٥١.

٢٨- محمود عمر محمد سليم- نبؤءة نفرهو(نفرتى) البوبسطى فى الدولة الوسطى- المؤتمر الدولى الاول للسرديت-جامعة قناة السويس ٢٠٠٨- ص ٨.

٢٩- وليام كيلي سمبسون- المرجع السابق- ص ٢٨٧-٢٨٨.

٣٠- محمد بيومى مهران – المرجع السابق ص٢٢٨-٢٢٩؛ سليم حسن- المرجع السابق – ص ٢٨٥-٢٨٦.

٣١- سليم حسن- المرجع السابق- ص ٢٩١.

٣٢- محمد بيومى مهران- المرجع السابق- ص ٢٩٦.

٣٣- سليم حسن- المرجع السابق- ص٣ص٣١٥-٣١٦.

٣٤- محمد بيومى مهران- المرجع السابق-ص ٣٠٣؛ وليام كيلى سمبسون- المرجع السابق – ص ٢٨٨؛ محمود عمر محمد سليم- المرجع السابق- ص٩-١٠.

٣٥- أحمد عبد الحميد يوسف- الوطنية فى الادب المصرى القديم- مجلة المجلة أغسطس ١٩٦٦- ص٧٧.

.٣٦- سليم حسن- المرجع السابق- ص٢٨٨.

٣٧- محمد بيومى مهران- المرجع السابق- ص٣٢١-٣٢٢.

٣٨- سليم حسن- المرجع السابق- ص ٦٨.